مكانة أمهات المؤمنين في كتاب رب العالمين
"دراسة موضوعية في ضوء سورة الأحزاب"

د. إيمان عبد الرحمن محمود مغربي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الكتاب والسنة
جامعة أم القرى

مقدمة :

الحمد لله رب البريات،المنعم على جميع المخلوقات،والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات،وعلى آله وأصحابه الطيبين والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين،وبعد ..

فإن لزوجات النبي ρ مكانة في الفضل والمنزلة ليست لغيرهن من النساء قال تعالى : چ ذ ث ث ڈ ڈ ٹ چ [الأحزاب:32]ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين،فهن من آل بيته طاهراتٍ مطهرات،طيباتٍ مطيبات،بريئاتٍ مبرءات من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن فرضي الله عنهن وأرضاهن.

لذا رغبت في العيش مع هذه الآيات من خلال هذا البحث الموسوم بـ: **مكانة أمهات المؤمنين في كتاب رب العالمين دراسة موضوعية على ضوء سورة الأحزاب**،لأقف على ما حظين به من الذكر في ثنايا الآيات القرآنية بجمع ما ورد في حقهن في هذه السورة التي بينت فضلهن وأكدت على عظيم مكانتهن،وتعريف القارئ بذلك أداءً لبعض حق رسول الله ρ وآل بيته-رضي الله عنهن- وبيان مالهن من المكانة والفضل من خلال هدايات الآيات راجية من الله تعالى أن أكون سددت فيمَ كتبت.

ولإبراز ذلك اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي ،وذلك بحصر وجمع الآيات التي تضمنت الحديث عن أمهات المؤمنين-رضي الله عنهن- في سورة الأحزاب وتفسيرها تفسيراً تحليلياً لاستنتاج الخطاب الذي يشمل نصحن ، واستنباط ما تضمنته الآيات من توجيهات تبرز فضلهن ومكانتهن،ورفعة شأنهن.

لذا اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة؛ على النحو التالي:

المقدمة تناولت فيها الحديث عن أهداف البحث ومنهجه وخطته.

التمهيد اشتمل على نبذة عن سورة الأحزاب،ونبذة عن أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن -،

المبحث الأول : الخطاب الإلهي لنصحهن.

المبحث الثاني : الخطاب الإلهي لحفظهن.

المبحث الثالث : الخطاب الإلهي لإبراز مكانتهن.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل موافقًا للصواب مقبولًا عنده،فما كان فيه من صواب وسير على الحق فمن الله تعالى وحده،وما كان من نقص أو بعد عن الصواب فمني والشيطان،والحمـــد لله رب العالمين.

تمهيد

أولاً نبذة عن سورة الأحزاب :

سورة الأحزاب سورة مدنية قال ابن عباس -رضي الله عنهما-:"نزلت سورة الأحزاب بالمدينة"[1]، وآياتها 73 آية، **ووجه تسميتها بذلك**: ما ذكر فيها عن أحزاب المشركين من: قريش غطفان، وبعض العرب، ويهود بني قريظة الذين اجتمعوا وتحزبوا لغزو المسلمين في المدينة،فرد الله تعالى كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال[2].

و**مقصد السورة** يركز على عناية الله تعالى بنبيه ρ وحماية جنابه وأهل بيته[3]، قال ابن عاشور -رحمه الله- [4]:"افتتاح السورة بخطاب النبي ρ مؤذن بأن

(1) انظر: الدر المنثور، للسيوطي (558/6).
(2) انظر: أسماء سور القرآن، للدوسري (317-318).
(3) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير (418).
(4) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الطاهر الشاذلي بن عاشور، حفظ القرآن منذ الصغر، رئيس المفتين المالكيين له مصنفات ومنها: مقاصد الشريعة الإسلامية، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، توفي 1393هـ بتونس.انظر: الأعلام، للزركلي (174/6).

الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ρ "[1].

فقد بدأت بتوجيه رسول الله ρ إلى تقوى الله تعالى،ثم ألقت بكلمة الحق والفصل في بعض التقاليد والأوضاع الاجتماعية،ثم تناولت غزوة الأحزاب وبيان تفاصيلها،ثم الحديث عن زوجات الرسول ρ وتخييرهن بين متاع الحياة الدنيا وبين الله ورسوله والدار الآخرة،ثم بينت طرق حفظهن وتطهيرهن من خلال خفض الصوت والاستقرار في البيت وعدم التبرج،واستطردت الآيات في بيان جزاء المؤمنين والمؤمنات،كما تعرضت لبعض الأحكام التشريعية،وختمت ببيان أمانة العقيدة والاستقامة عليها[2].

فسورة الأحزاب ألقت الضوء على جانب من ذلك التميز وذلك الفضل ويتجلى ذلك من خلال تنوع الخطاب الإلهي لهن، فقد حوت السورة آيات تناولت أمهات المؤمنين؛ تارةً لحثهن على سلوك الطريق القويم، وتارةً لبيان مالهن وما عليهن، وفي ذلك كله إبراز جلي لمكانتهن التي بدأت بها السورة حيث قال الحق تبارك وتعالى : چۇ ۆ ۆ ۈ ۈۇ ۇ ۆ چ [الأحزاب:6].

ولاشك أن هذه السورة ترسم ملامحً واضحة لتلك المكانة السامية التي خص الله تعالى بها زوجات رسولنا الكريم ρ، وتقر القيم التي أراد الله تعالى لبيت النبوة الطاهر أن يمثلها،وأن يقوم عليها وأن يكون فيها منارةً يهتدي بها السالكون.

فما أحرانا ونحن في هذا العصر؛ عصر الفتن والعقوق أن نتنسم عبير أمهات المؤمنين-رضي الله عنهن-، ونتعرف على ما لهن من المكانة العالية، التي خلدتها آيات الكتاب المبين لتظل شاهداً على مر السنين على شرف مكانتهن.

ثانياً نبذة عن أمهات المؤمنين:

أمهات المؤمنين -رضوان ربي عليهن- من أهل البيت، قال تعالى: چڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک چ[الأحزاب:33]، لهن حق التقدير والتشريف[3].

فأهل الرجل في اللغة: زوجه[4]، جاء في المفردات:"من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما؛ من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل: من

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور (249/21).
(2) انظر: أسماء سور القرآن، للدوسري (316-317)، أهداف كل سورة ومقاصدها، لعبد الله شحاته (303/1).
(3) انظر: الإبانة، لناصر الحمد (12/ 216).
(4) كتاب العين، للفراهيدي (89/3).

يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به فقيل: أهل بيته من يجمعه وإياهم نسب، وتعورف في أسرة النبي ρ مطلقًا" [1]، فزوجاته من أهل بيته [2]، و ذريته وأقاربه كالعباس وعلي -رضي الله عنهم- وكل من حرمت عليه الصدقة[3].

"وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي ρ من أهل بيته، قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما - رضوان الله عليهم "[4].

وعليه؛ فلهن -رضي الله عنهن- من الشرف والمكانة أرفع مما لغيرهن من النساء؛ لما اختصهن الله تعالى من الاقتران بسيد الخلق وأشرفهم عليه -صلوات ربي وسلامه-، وقد ارتضاهن الله تعالى أمهات للمؤمنين؛ ويدل عليه ما ورد عن مسروق أن امرأة قالت لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-:يا أمه، قالت: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم"[5]، لهن من الحرمة ما للأمهات،فحرمة أزواجه ρ على أمته كحرمة أمهاتهم،فلا يجوز نكاح زوجاته ρ من بعده[6].

تشملهن المحبة التي لآل البيت فعند أهل السنة والجماعة محبة آل البيت فرض وواجب على كل مسلم لقوله تعالى: چ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ

(1) المفردات، للراغب الأصفهاني (39)، وانظر: تاج العروس، للزبيدي (6857/1).
(2) انظر: رياض الصالحين، شرح ابن عثيمين (222/3).
(3) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (3 /137).وهذا كما ثبت في صحيح مسلم: قيل لزيد بن أرقم: ومن أهل بيته؟ قال: الذين حرموا الصدقة:آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، قيل لزيد: أكل هؤلاء أهل بيته؟ قال نعم.انظر:أخرجه مسلم في صحيحه؛ كتاب: فضائل الصحابي -رضي الله عنهم-، باب: من فضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، (4/ 1873)، ح (2408).
(4) تفسير أبوالسعود، محمد العمادي (103/7).
(5) أخرجه ابن سعد في الطبقات (8/64-67)، والبيهقي في السنن الكبرى (70/7)، وانظر: كتاب أزواج النبي ρ، للدمشقي، ت:محمد الفتيح (35).
(6) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أستاذة التفسير (418).

[الشورى: 23]، ومما يؤكد محبتهم [1]: إسلامهم وفضلهم وسوابقهم، وقربهم من المصطفى ρ واتصالهم بنسبه، و ما حث عليه ورغب فيه ρ:"أذكركم الله في أهل بيتي" [2]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- [3]:"آل بيت رسول الله ρ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ρ "[4].

عددهن :

لا خلاف بين العلماء أن رسول الله ρ تزوج إحدى عشرة امرأة دخل بهن جميعاً، عشر منهن ثيبات، والبكر الوحيدة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر -التي برأتها السماء من فرية السفهاء-رضي الله عنهن أجمعين [5]. ست منهن قرشيات: خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، و أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعة -رضي الله عنهن وأرضاهن-. وأربع عربيات من غير قريش: زينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة، وجويرية بنت الحارث -رضي الله عنهن وأرضاهن -، وواحدة من غير العرب من بني إسرائيل؛ وهي: صفية بنت حيي بن أخطب -رضي الله عنها -. ماتت منهن في حياته خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة ومات ρ عن التسع الباقيات[6].

واختلف أهل العلم في تعيين أفضلهن-رضي الله عنهن-؛ والصحيح أن لكل واحدة منهن من الفضل والخصائص ما ليس للأخرى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -:" اختص كل واحدة منها بخاصة فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام؛

(1) انظر: الإبانة، لناصر الحمد (45).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه؛ كتاب: فضائل الصحابي -رضي الله عنهم-، باب: من فضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، (4/ 1873)، ح (2408).

(3) ابن تيمية أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم ابن الحَرَّانِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، صاحب فنون وجلالة ببلده، كان فاضلًا، تفرد في بلده بالعلم، وكان المشار إليه في الدين، لقي جماعة من العلماء، وقدم بغداد وتفقه بها، وسمع الحديث بها، له من المصنفات:"الدِّيْوَانِ"، الخُطَبِ، وَ"التَّفْسِيْرِ الكَبِيْرِ"، امتحن وأوذي مرات عدّة مات سنة: 622هـ. انظر: وفيات الأعيان، للبرمكي (4/ 386)، تذكرة الحفاظ، للذهبي (4/ 192)، سير أعلام النبلاء، (16/ 217- 218).

(4) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (407/3).

(5) انظر: حياة نساء أهل البيت، لمحمد كناس (83).

(6) انظر: الاستيعاب، لابن حجر (1/44-46)، حياة نساء أهل البيت، لمحمد كناس (83)، مكانة آل البيت، لخالد الدميجي (149).

وكانت تسلي رسول الله ρ وتثبته، وتسكنه، وتبذل دونه مالها، فأدركت عزة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله،و كانت نصرتها للرسول ρ في أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها. وعائشة -رضي الله عنها- تأثيرها في آخر الإسلام فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة وانتفاع نبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها"[1].

المبحث الأول
الخطاب الإلهي لنصحهن

جاء القرآن الكريم ليحدد القيم الأساسية في تصور الإسلام للحياة،و كان ترجمة هذه القيم والعمل بها في بيت النبوة مثالاً حياً، وقد ورد في سورة الأحزاب آية كريمة تحتوي خطاباً لرسولنا الكريم يتضمن نصح زوجاته أمهات المؤمنين -رضوان ربي عليهن- من خلال تخييرهن؛ ﭽ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﭼ[الأحزاب:28].

فأمهات المؤمنين كن نساء من البشر، لهن مشاعر البشر، وعلى فضلهن وكرامتهن وقربهن من ينابيع النبوة الكريمة فإن الرغبة في متاع الدنيا ظلت حية في نفوسهن، فسألن رسول الله ρ شيئاً من عرض الدنيا، وآذينه بزيادة النفقة، وكن يومئذ تسع نسوة[2]؛ فأنزل الله سبحانه هذه الآيات، وبدأ الخطاب بالنداء للنبي ρ وأمره أن يخيرهن بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، ذلك التخيير أراد النبي ρ به أن يرفع زوجاته إلى المستوى العالي المتجرد عن حظوظ الدنيا كي يكن قدوة لنساء العالمين[3]، فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله

(1) جلاء الأفهام، لأبي زرعة (1 / 234-235).
(2) خمس من قريش وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي من بني إسرائيل وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق رضي الله عنهن أجمعين.
(3) انظر: التفسير الموضوعي، بإشراف مصطفى مسلم (107/6).

عنها- قالت: لما أمـر رسول الله ρ بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه. قالت: ثم قال:"إن الله عز وجل قال: چ ه ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ﯀ ﯁ ﯂ ﯃ ﯄ ﯅ ﯆ ﯇ ﯈ ﯉ ﯊ ﯋ چ [الأحزاب28-29]". قالت؛ فقلت: في أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ρ مثل ما فعلت[1].

فاخترن -رضي الله عنهن- الله ورسوله والدار الآخرة فرفع الله سبحانه درجتهن على سائر النساء[2]، وبين بذلك رفعتهن وعلو درجتهن وهممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها [3]، واستجابتهن -رضوان الله تعالى عليهن- تلك لنصح رسول الله ρ، واختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لعلمهن وفطنتهن بالشرف الذي منحه الباري لهن بالاقتران برسول الأمة ρ، فآثرن ذلك على الدنيا وزينتها،فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة[4].

فأي مكانة كانت لهن عند رسول الله ρ ليأتي الخطاب بالتخيير ولم يأت بالمفارقة المباشرة ؟!، فهذا الخطاب تضمن الخير الذي يعمر قلوبهن، والمكانة التي ليست لغيرهن باقترانهن بخير الخلق ρ.

وفي هذا التخيير فوائد عديدة؛ منها:

1 - سلامة زوجاته -رضي الله عنهن- عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله، فحسم الله بهذا التخيير عنهن، التسخط على الرسول،الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.

2 - استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر المختار بأن يكن زوجاته في الدنيا والآخرة.

(1) الأحزاب : 28-29 والحديث أخرجه مسلم في صحيحه؛ كتاب الطلاق، باب: باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، (2/ 1103)، ح(1475) عن عائشة مرفوعًا.
(2) انظر: الوجيز، للواحدي (2 /864).
(3) نقلًا عن تفسير السعدي (1 / 663).
(4) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (3 /136)، تفسير ابن كثير، لابن كثير (3 /481).

3 - ظهور المناسبة بينه ρ وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات.

4 - أن يكون ذلك الاختيار سببًا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يكن بمرتبة ليس فيها أحد من النساء[1].

المبحث الثاني
الخطاب الإلهي لحفظهن

جلى القرآن الكريم مكانة أمهات المؤمنين في هذه السورة، وبين شرف مكانتهن وذكر الوسائل التي تحفظهن صيانة لهن ولجناب رسول الله ρ ورعاية لذلك الشرف الذي يسر الله لهن بالاقتران برسول الأمة ρ ونيل تلك المكانة؛ مستخدما في ذلك أساليب متنوعة ومنها:

1. مضاعفة العذاب(أسلوب الترهيب):

من المعلوم أنه على قدر علو المقام يكون الملام، وبقدر النعمة تكون النقمة[2]، ومضاعفة الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه مضاعفة العقوبات عن المعصية[3]،كما قال سفيان بن عيينة[4]: يغفر للجاهل سبعون ما لا يغفر للعالم واحد[5].

لذا جاء الإنذار في قوله تعالى: چ ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد چ [الأحزاب:30]، فأورد الحق تبارك وتعالى النداء لهن هنا مغلظاً عليهن فعل الفاحشة؛ فلما اخترن -رضي الله عنهن- رسول الله ρ أنزل فيهن هذه الآيات تكرمةً لهن وتعظيماً لحقهن فقال: چ ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ چ أي: من تأت بمعصية ظاهرة القبح واضحة الفحش[6]،چ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد چ توعد توعد بمضاعفة العذاب لمن تقترف الفاحشة منهن؛أي يعذبهن مثلّي عذاب غيرهن من النساء لما لهن من المكانة الرفيعة باقترانهن برسول الله ρ حيث كن في منزل تنزل

(1) انظر: تفسير السعدي، للسعدي(1/ 663).
(2) انظر: تفسير ابن كثير، لابن كثير(483/3)، التفسير الموضوعي، بإشراف مصطفى مسلم(108/6).
(3) انظر: فتح القدير، للشوكاني (4/ 276).
(4) سفيان ابن عيينة ابن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة، وكان أثبت الناس في عمرو ابن دينار، توفي: 98هـ. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (245).
(5) انظر: تفسير السمرقندي، للسمرقندي (3 / 55) .
(6) انظر: السراج، للخضيري (218).

فيه أوامر الله تعالى ونواهيه لذا قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأجر والعذاب [1]، وقد عصمهن الله عن ذلك وبرأهن وطهرهن -رضوان الله تعالى عليهن -.

2- مضاعفة الأجر (أسلوب الترغيب):

لما ذكر سبحانه ما عليهن من العذاب إن أتين بفاحشةٍ مبينة وغلظ العقاب في الآية السابقة، وبين أن من عصت منهن فعليها الضعف من العذاب على سائر نساء المؤمنين قابل هنا بذكر من عملت صالحاً منهن فإن الأجر لها الضعف على سائر نساء المسلمين؛ قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [الأحزاب:31]؛ والقنوت: الطاعة والخضوع [2]، قال قتادة والشعبي: يطيع ويخضع بالعبودية[3]، والعمل الصالح هو الترجمة العملية للطاعة والخضوع، وفي قوله: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [القصص: 54]. ولاشك أنهن يدخلن في تلك الآيات وأنها تشملهن، وهذا فيه الإشارة إلى مزيد تكريمهن والاعتناء بهن[6].

وغير خاف ما في هذا النص من الترغيب والتشويق لمزيد من الطاعات ونيل

(1) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (4 / 382).
(2) تفسير غريب القرآن، للصنعاني (333).
(3) المحرر الوجيز، لابن عطية (382/4).
(4) انظر: التفسير الكبير، للرازي (25 /179)، المحرر الوجيز، لابن عطية (4 /382).
(5)انظر:تفسير الطبري، للطبري (22 /1)، التفسير الكبير، للرازي (25 /179).
(6) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي (6 /235).

تلك الأجور المضاعفة، ففي هذه الآية دلالة على حفظهن من خلال التحفيز على العمل الصالح الذي سيضاعف، فكونهن زوجات المصطفى وأمهات المؤمنين يرتب عليهن واجبات ثقيلة[1]، فهن في الفضل والمنزلة لسن كغيرهن من النساء إن عملن بطاعة الله وابتعدن عن معاصيه[2]، و الظاهر أن تلك المضاعفة في الأجر بالنسبة إلى أعمالهن الصالحة في حياته وبعد وفاته ρ[3].

3-عدم الخضوع في القول:

تناولت هذه السورة كافة الجوانب لحفظ أمهات المؤمنين ومراعة أفعالهن وأقوالهن في درس تعليمي لغيرهن ممن يتحتم عليهن الاقتداء بهن؛ فإذا وجدت الفتنة وتيسرت أسبابها ودُعي إليها، ووافقت فتنة في القلب، كان التجاوب إليها سريعاً، لذا جاء البيان شافياً[4] ينبههن عن التبذل وصيانة حرمة رسول الله ρ، قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [الأحزاب: 32]، أرشدهن إلى قطع وسائل المحرم فنهاهن عن الحديث مع الرجال بالكلام اللين الذي يعجبهم ويميل بهم إلى النساء، فيطمع فيهن مرضى القلوب، ويهيج رغائبهم [5]فقال: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فتلِنَّ في ذلك وتتكلمن بكلام رقيق. ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ أي: مرض شهوة الحرام، فإنه مستعد، ينتظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح والمعنى لا تقلن قولاً يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع [6].ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ هو الصواب من الكلام أو الذي ليس فيه شيء مما نهى عنه [7]فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء ولا هذر ولا هزل، ولا دعابة ولا مزاح،كي لا يكون مدخلاً إلى شيء آخر من وراءه[8].

ومن هن اللواتي يحذرهن هذا التحذير ؟! إنهن أمهات المؤمنين،زوجات الرسول ρ، اللواتي لا يطمع فيهن طامع، ولا يرف عليهن خاطر مريض، يخاطبهن في عهد النبوة ولكن الله تعالى عليم سبحانه بما يثير الطمع في القلوب المريضة وأن

(1) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (2857/5).
(2) التفسير الموضوعي، للراغب الأصفهاني (109/6).
(3) انظر: روح المعاني، للألوسي(22 /2).
(4) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبدالله الجربوع (1/ 399).
(5) انظر: السراج، للخضيري(218).
(6) تفسير البغوي - إحياء التراث، البغوي (3/ 635).
(7) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (3 /137)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (2859/5).
(8) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (2859/5).

هذه القلوب موجودة في كل زمان ومكان وتجاه كل امرأة وإن كانت زوج النبي الكريم وأنه لا طهارة من الدنس ولا تخلص من الرجس حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس(1). فالإسلام لم يفرض ذلك كله ليكبت حرية المرأة وإنما جاء ذلك ليصونها عن الابتذال وليحميها من التعرض للفاحشة وليمنعها من الوقوع في الجريمة والفساد، وليكسوها بذلك حلة التقوى والطهارة والعفاف، فسد بذلك كل ذريعة تفضي إلى الفاحشة أو توقع في الرذيلة وتلك هي الكرامة الحقيقية للمرأة(2).

4-النهي عن تبرج الجاهلية :

تتوالى الآيات ومعها تلك التوجيهات لحفظ من ارتفع بين الناس مقامهن وعظم شأنهن؛ فيقول عز من قائل: ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ [الأحزاب:33]

فالإسلام يود أن يهيئ البيت للفراخ الناشئة بقرار الأم، فخاطب الأمهات آمرًا بلزوم البيت -وإن كان الخطاب لنساء النبي ρ فقد دخل غيرهن فيه– فأمرهن الله تعالى بملازمة بيوتهن وخاطبهن بذلك تشريفا لهن (3)، ونهاهن أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام (4) ليطهر المجتمع الإسلامي من آثارها، ويبعد عنه عوامل الفتنة، ودواعي الغواية، ويرفع آدابه وتصوراته ومشاعره وذوقه كذلك، والجاهلية المرادة هنا ليست فترة معينة من الزمان،إنما هي حالة اجتماعية معينة ذات تصورات معينة للحياة، ومن الممكن وجود هذه الحالة وهذا التصور في أي زمان وفي أي مكان فيكون دليلاً على الجاهلية حيث كان(5).

قال ابن عطية -رحمه الله- (6):" والذي يظهر عندي أنه أشار للجاهلية التي لحقنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لأنهم كانوا لا غيرة عندهم، وكان أمر النساء دون حجاب وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى وقد أوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل

(1) انظر: المرجع السابق.
(2) انظر: تكريم الإسلام للمرأة، للبدر(21).
(3) انظر: تفسير القرطبي، للقرطبي (14 / 179).
(4) انظر: تفسير الطبري، للطبري (22/ 4).
(5) في ظلال القرآن، لسيد قطب (2861/5).
(6) ابن عطية: هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام ابن عطية الأندلسي الغرناطي، أبو محمد،كان عارفًا بالأحكام بارعًا بالأدب واسع المعرفة ولي قضاء المرية من كتبه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، والمجموع في ذكر مروياته وأسماء شيوخه توفي سنة 541هـ. انظر:طبقات المفسرين، للسيوطي (1/ 50)، طبقات المفسرين، للأدنروي (175)، رقم (125).

الإسلام"[1].

وعلى هذا يكون المقصود من الآية مخالفة من قبلهن من المشية على تغنيج وتكسير، وإظهار المحاسن للرجال إلى غير ذلك مما لا يجوز شرعا،قال قتادة -رحمه الله-:"كانت لنساء الجاهلية الأولى مشية تكسر وتغنج فنهي هؤلاء عن ذلك" [2]، وذلك يشمل الأقوال كلها ويعمها فيلزمن البيوت فإن دعت الحاجة إلى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام[3].

وإن كانت أمهات المؤمنين مخاطبات بذلك فكيف بنا معشر النساء؛ أليس من الأولى أن يكون مثل هذا البيان خير سبيل للعودة والأوبة والتوبة؟ أليس من الفطنة العمل بهذا الخطاب الإلهي لتحفظ المرأة نفسها وتحل عليها رحمة الله.. بلغنا يا رب .

5 - الأمر بالحجاب:

چگ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ چ [الأحزاب: 59]، يقول الله تعالى آمراً رسوله ρ أن يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن چ ۀ ہ ہ ھ چ أي: يغطين وجوههن ورؤوسهن إلا عينًا واحدة[4]، فالجلباب هو: الرداء فوق الخمار،وهو بمنزلة الإزار اليوم. عن ابن عباس- رضي الله عنهما -: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة [5]، وقال الكسائي -رحمه الله-: يتقنعن بملافحهن منضمة عليهن[6].

عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: لما نزلت هذه الآية چ ۀ ہ ہ ھ چ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها[7].

ثم بين العلة من ذلك الستر والعفاف الذي أمر به فقال تعالى: چ ہ ہ ہ ھ ھ ے چ أي: إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر لسن بإماء ولا عواهر [8]فيفرق بينها وبين

(1) المحرر الوجيز، لابن عطية (384/4).
(2) التفسير الوسيط، للواحدي (3/ 469).
(3) انظر:تفسير القرطبي، للقرطبي (14 /180).
(4) انظر: تفسير ابن كثير، لابن كثير (3 /519)، فتح القدير، للشوكاني (4 / 304).
(5) نقلا عن تفسير الطبري (22/ 46).
(6) معاني القرآن، للكسائي (214).
(7) تفسير ابن أبي حاتم، عبدالرحمن الرازي (10/ 3154).
(8) تفسير البغوي، للبغوي (3 /544).

الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء وربما تعرض لهن السفهاء[1].

قال السدي -رحمه الله- [2]:كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء ،وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها، وإذا رأو المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها[3].

قال أنس -رضي الله عنه -: مرت بعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يالكاع أتتشبهين بالحرائر القي القناع[4].

وخلاصة القول:كل ما ورد في هذا المبحث من أدلة لتحث على الفضيلة والرقي بالذات، ولاشك أنهن قدوة لنا في الامتثال بكل ما أمرهن الباري به، فعلى حفيدات خديجة وسمية -رضي الله عنهن- السير على ذات الطريق.

المبحث الثالث

الخطاب الإلهي لإبراز مكانتهن

من المتفق عليه أن مكانة نساء النبي أرفع لشرف صحبتهن للمصطفى ρ، وذكرنا سابقًا أن نيلهن لهذه المكانة وحظوتهن بذلك الشرف يحتم عليهن أموراً خاصة ويستوجب منهن رعاية ذلك الشرف وتلك المكانة، وفي هذا المبحث عرجت على جمع

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (3 /144)، المحرر الوجيز، لابن عطية (4 /399).
(2) السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة، أبو محمد، تابعي، سكن الكوفة.كان يجلس في سدة باب الجامع بالكوفة فسمي السدي وهو السدي الكبير، كان إماماً عارفاً بالوقائع، وأيام الناس توفي سنة 128هـ.انظر: المزي (123/3)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (264/5).
(3) انظر: تفسير ابن كثير، لابن كثير(519/3)، فتح القدير، للشوكاني (399/4).
(4) تفسير البغوي، للبغوي (3 /544).

ما ورد في الآيات مما يجلي مكانتهن[1] في سورة الأحزاب؛ ومنها:

1- قوله تعالى: چ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ چ [الأحزاب: 32]، الآية تبدأ بإشعار نفوسهن بعظيم مكانهن، ورفيع مقامهن، وفضلهن على سائر النساء، وتفردهن بذلك المكان بين نساء العالمين على أن يوفين هذا المكان حقه، ويقمن فيه بما يقتضيه[2].

فقوله سبحانه: چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ أي: فيكن أمر لا يوجد في غيركن وهو كونكن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين[3]، فقول القائل ليس فلان كآحاد الناس؛ يعني ليس فيه مجرد كونه إنسانًا، بل وصف أخص موجود فيه، فإن الوصف الأخص إذا وجد لا يبقى التعريف بالأعم.

وليحصل لهن التفضيل لابد من التقوى، فليست المسألة مجرد قرابة من النبي ρ بل لابد من القيام بحق هذه القرابة في ذات أنفسهن [4]، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ρ قال:"يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله،يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله؛ لا أملك لكما من الله شيئا، سلاني من مالي ما شئتما"[5].

فكملن-رضي الله عنهن- التقوى بجميع وسائلها ومقاصدها [6]، وحصل لهن التفضيل على جميع النساء، إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله ρ ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله ρ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها[7]. قال ابن عطية -رحمه الله-:"إنهن لسن كأحد من نساء عصرهن فما بعد بل هن أفضل بشرط التقوى لما منحهن من صحبة الرسول ρ وعظيم المحل منه، ونزول القرآن في لحفهن، وإنما خصص لأن فيمن تقدم آسية ومريم فتأمله"[8].

2-**قوله تعالى :** چ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ چ[الأحزاب:33]

---

(1) ولعل كل ما مر معنا يبين مكانتهن؛ فما جاء من تخييرهن، ومن ثم تغليظ العقوبة عن فعل الفاحشة أو إتيانهن الأجر مرتين أو التنبيه عليهن بما يحفظهن كل ذلك لما لهن من المكانة العالية.

(2) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (2858/5).

(3) التفسير الكبير، للرازي (25 /180).

(4) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (2858/5).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ} [الشعراء: 215] أَلِنْ جَانِبَكَ (111/6)، ح(4771).

(6) تفسير السعدي، للسعدي (663/1).

(7) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (137/3).

(8) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (382/4).

هذا الخطاب جاء بعد عدد من الأوامر والنواهي ثم جاءت الآية هنا تعليلاً لأمرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء أو المدح { **أَهْلَ الْبَيْتِ** } والمراد من حواهم بيت النبوة[1]، أي: إنما يريد الله سبحانه أن يذهب عنكم الأذى والسوء يا أزواج رسول الله ويا أهل بيته، واستعارة الرجس للمعصية، والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها [2]، والمراد بـ{ **الرِّجْسَ** } هنا: الأذى والسوء والإثم وهي النقائص والعيوب [3]، ويطهر نفوسكم من الأوزار والمعاصي بتحليتها بفضائل الأخلاق وتخليتها من رذائلها تطهيراً كاملاً لا يبقى بعده دنس، لذا قال: {**تَطْهِيراً** } بليغاً من تلك النقائص والعيوب شركاً كانت أو إثماً[4].

3- **قوله تعالى:** ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ [الأحزاب:34]

يبين سبحانه لأمهات المؤمنين اختصاصهن بما ليس لغيرهن من النساء، ويقرر واجباتهن في معاملة الناس، وفي عبادة الله، وواجباتهن في بيوتهن، ويحدثهن عن رعاية الله الخاصة لهذا البيت الكريم وصيانته، فيذكيرهن بعلو مكانتهن وامتيازهن على النساء بمكانهن من رسول الله ρ وبما أنعم الله تعالى عليهن فجعل بيوتهن مهبط القرآن ومنزل الحكمة ومشرق النور والهدى والإيمان [5]. ولا ريب إنه لحظ عظيم يكفي التذكير به، لتحس النفس جلالة قدره،ولطيف صنع الله فيه، وجزالة النعمة التي لا يعدلها نعيم[6]، فبيوتهن لا كالبيوت؛ ففيها تقرأ آيات الله وفيها أوحي إلى رسول الله ρ، لذا يأمرهن الله تعالى بتذكر موضع النعمة إذ صيرهن الله فى بيت النبوة. وماذا في بيت النبوة؟ فيه تتنزل الآيات ويتعلمن القرآن ويرين عيانًا سنته ρ في كل أفعاله ويقتبسن من مشكاة النبوة[7]، ولاشك أن هذه نعم عظيمة ومكانة جليلة ليست لغيرهن.

ومهما كان المراد من قوله: {**وَاذْكُرْنَ** } أي: اذكرنها وتفكرن فيها لتتعظن بمواعظ الله، أو اذكرنها للناس ليتعظوا بها ويهتدوا بهداها، أو اذكرنها بالتلاوة لها

---

(1) راجع ص4 من البحث.
(2) انظر: تفسير أبي السعود، محمد العمادي (7 /103).
(3) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (381/6)، السراج، للخضيري (218).
(4) زاد المسير، لابن الجوزي (6 /382). وسبق بيان أن أزواجه يدخلن في أهل البيت؛ راجع ص 4 من البحث.
(5) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (2857/5).
(6) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (2862/5).
(7) انظر: فتح القدير، للشوكاني (4 /280).

لتحفظنها ولا تتركن الاستكثار من التلاوة؛ فحتماً كل ذلك يوجب شكر الله وحمده عليه لأنها منة عظيمة[1].

4- **قوله تعالى :** ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ[الأحزاب:51]

في هذه الآية التوسعة على رسول الله ρ؛ قالت أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-:كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن من النبي ρ وأقول: أتهب امرأة نفسها؟ فلما قرأ علي رسول الله ρ هذه الآية قلت:" ما أرى ربك إلا يسارع في هواك" [2]، ورغم ذلك إلا أنه ρ لم يرجي إحداهن بل آواهن [3]حتى مات، وفي ذلك إشارة إلى عظيم مكانتهن [4]، حيث قال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ أي: ذلك العلم أقرب لنسائك أن تقر أعينهن به ولا يحزنَّ، ويرضين بما آتيتهن كلهن من تفضيل من فضلت من قسم، أو نفقة وإيثار من آثرت منهم بذلك على غيره من نسائك، إذا هن علمن أن ذلك بأمر من الله لا من قبلك اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير، وحصل الرضا وقرت العيون، وسلت القلوب، وقد اتفقت الروايات أنه ρ عدل بينهن في القسمة حتى مات ولم يمتثل ما أبيح له ضبطًا لنفسه وأخذًا بالفضل[5]. فالآية تتناول تتناول بيان مكانتهن بوصف مشاعرهن وما يبعث الرضا في نفوسهن ومابه تقر أعينهن[6].

5- **قوله تعالى :** ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ[الأحزاب:52].

هذه الآية تضم بين ثناياها إبراز مكانتهن -رضي الله عنهن- فقد ذكر ابن عباس-رضي الله عنه-، ومجاهد [7]، والضحاك[1]، وقتادة[2]، وغيرهم -أن هذه الآية

(1) انظر: تفسير الطبري، للطبري (22 /9) .
(2) أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب: تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ:(تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ)، (1797/4)، ح(4510) عن عائشة مرفوعًا.
(3) يؤوي: يضم في المبيت انظر: المفردات، للراغب الأصفهاني(41)، السراج، للخضيري (220).
(4) انظر: تفسير عبد الرزاق (42/3)، المحرر الوجيز، لابن عطية (4 /393).
(5) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (4/ 394).
(6) جامع البيان، للطبري (20/ 296)، روح المعاني، للألوسي (22 / 63).
(7) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي القرشي، مولى بني مخزوم. تابعي، إمام في التفسير وفي العلم. أخذ التفسير عن ابن عباس، توفي سنة 104. انظر: المزي (228/27)، تقريب التهذيب، لابن حجر(6481/520).

نزلت **مجازاةً لأزواج النبي ρ ورضًا عنهن، على حسن صنيعهن** في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله ρ- كما تقدم- وهن التسع اللاتي مات عنهن: عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، أم حبيبة بنت أبي سفيان، سودة بنت زمعة، أم سلمة بنت أبي أمية، صفية بنت حيي، ميمونة بنت الحرث الهلالية،زينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث-رضي الله عنهن- [3]. فلما اخترن رسول الله ρ كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن لقوله: چڈ ژ ژ ڑ چ فالله أباح له الإماء[4].

ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، كما روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها -: أن النبي ρ لم يقبض حتى أحل الله له نساء أهل الأرض[5]، ولكن ومع ذلك لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة للرسول ρ عليهن[6].

6- چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج چ [الأحزاب:53]، في هذه الآية **بيان الحقوق المتعلقة بهن** -رضي الله تعالى عنهن- ومناسبة ذلك لما تقدم ظاهرة[7]، فالآية تضمنت كلمة جامعة وقاعدة عامة،حيث حرم الله تعالى على الأمة أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضاً، تمييزاً له، مثل نكاح أزواجه من بعده[8]، فقال: چ ئه ئه ئو چ يا معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم أن تؤذوا رسول الله ρ-وما يصلح ذلك لكم- أذية قولية أو

(1) الضحاك بن مزاحم بن هلال بن بني عامر البلخي الخراساني، عرف بالتفسير واشتهر به، لقي جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير. توفي بخراسان سنة 105 هـ. انظر: ابن سعد (369/7)، تهذيب التهذيب، لا بن حجر (2/ 226).

(2) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السّدوسيّ، الحافظ العلامة، أبو الخطاب البصري، الضرير الأكمه المفسّر، رأس الطبقة الرابعة، روى «تفسيره» عنه شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم النحوي أبو معاوية البصري، توفي: 118هـ وقيل: 117هـ. انظر: طبقات المفسرين، الداوودي، (2/ 47- 48).

(3) انظر: الكشاف، للزمخشري (3 /562)، تفسير النسفي، للنسفي(39/3).

(4) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (3 /142).

(5) جامع البيان، للطبري (20/ 302)، والحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير:(9/ 78-79)، وقال:(هذا حديث حسن صحيح).

(6) تفسير ابن كثير، ت: سلامة (6/ 447).

(7) انظر: روح المعاني، للألوسي (22 / 67).

(8) دعاوى المناوئين، لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد (357).

فعلية، بجميع ما يتعلق به وكل ما منعتم عنه مؤذ فامتنعوا عنه، ومن ذلك: چ ئۇ ئۇ ئۇ ئې ئې ئى ئى چ فهذا من جملة ما يؤذيه، فإنه ρ له مقام التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاتهمن بعده لا يحل لأنهن أمهات المؤمنين، وتحريم نكاحهن على التأبيد[1]، لذا قال: چ ئۇ ئۇ ئې ئې ئى ئى چ أي: من بعد وفاته أو فراقه **فالآية تبين تحريم نكاحهن بعد النبي** ρ [2]، ثم أكد بقوله: چ ئد ى ى ي ي ئج چ أي: يعد ذلك عند الله إثماً عظيماً.

فحرم نكاح نسائه من بعده على العالمين، ومن هنا تجلت مكانتهن؛ حيث لا يجوز لأحد من المسلمين أن ينكح أي زوجة من زوجاته ρ فحرمتهن بنص القرآن كما مر معنا[3]، وليس هذا لنساء أحد غير نساءه ρ [4].

أقوال العلماء في علّة تحريم أزواج النبي ρ من بعده:

1- أنهن أمهات المؤمنين، ولا يحلّ للرجل أن يتزوج أمَّه

قال تعالى: چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې ئى ئى چ يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يحلّ للرجل أن يتزوج أمه"[5].

"فشرّف الله تعالى أزواج نبيه ρ بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح، وحجبهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الأمّهات"[6].

وذكر الفقهاء من أنواع المحرّمات في النكاح، المحرّمات بالاحترام، أي: زوجات الرسول ρ [7].

2- أنّه من جملة ما يؤذي النبي ρ[8]، وإيذاؤه محرم

قال تعالى: چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ چ"وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله،

(1) انظر:جامع البيان، للطبري (22 /40)، تفسير السعدي، للسعدي (1 /670)، أزواج النبي، للدمشقي (35).

(2) انظر: التفسير الكبير، للرازي (25 /194)، تفسير أبي السعود، محمد العمادي (7 /113)، مكانة آل البيت لخالد الدميجي(152).

(3) راجع ص 4-5 من البحث.

(4) تفسير الإمام الشافعي، للشافعي (3/ 1215).

(5) جامع البيان، للطبري (20/ 316).

(6) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (14/ 123).

(7) يُنظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين (12/ 107).

(8) تفسير السعدي، للسعدي، ص671.

وما يصلح ذلك لكم" [1]. "وهذا تكرار للعلة، وتأكيد لحكمها، وتأكيد العلل أقوى في الأحكام"[2].

"وذُكِر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب، قال: لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سماها، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ. قال ابن زيد في قوله چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي ئج چ قال: ربما بلغ النبي ρ أنّ الرجل يقول: لو أن النبي ρ توفي تزوجت فلانة من بعده، قال: فكان ذلك يؤذي النبي ρ فنزل **القرآن** چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ چ الآية"[3].

و"المراد أن إيذاء الرسول حرام، والتعرض لنسائه في حياته إيذاء فلا يجوز، ثم قال لا بل ذلك غير جائز مطلقًا، ثم أكّد بقوله: چ ئد ى ى ي ي ئج چ أي إيذاء الرسول"[4]، أو نكاح أزواجه، فجعل ذلك من جملة الكبائر، ولا ذنب أعظم منه"[5].

3- أنّ للنبي ρ مقام التعظيم والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته من بعده مخل بهذا المقام[6]، ولذلك "سمى نكاحهن بعده عظيمًا عنده، وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حيًا وميتًا، وإعلامه بذلك مما طيّب به نفسَه، وسرّ قلبَه واستغزر شكرَه. فإن نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلى منه فكره. ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده. وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفًا واستهتارًا، فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصّعداء وانتحب فعلا نحيبُه مما ذهب به فكره هذا المذهب، فلم يزل به ذلك حتى قتلها، تصورًا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره. وعن بعض الفقهاء أنّ الزوج الثاني في هدم الثلاث مما يجرى مَجرى العقوبة، فصين رسول الله ρ عما يلاحظ ذلك"[7].

فـ "كل ذلك تكرمة للنبي ρ ، وحفظًا لقلبه من التأذي بالغيرة، قال النبي ρ

(1) جامع البيان، للطبري (20/ 316).
(2) أحكام القرآن، لابن العربي (3/ 464).
(3) جامع البيان، للطبري (20/ 316).
(4) مفاتيح الغيب، للرازي (25/ 180).
(5) أحكام القرآن، لابن العربي (3/ 465).
(6) تفسير السعدي، للسعدي، ص671.
(7) الكشاف، الزمخشري (3/ 513).

للأنصار: تعجبون من غيرة سعد، لأنا أغيرُ منه، والله أغير مني".[1]

4-أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته [2]، ومعنى إبقاء النكاح بقاء أحكامه من تحريم الزوجية، ووجوب النفقة والسكنى،إذ جُعل الموت في حقه -عليه السلام- بمنزلة المغيب في حق غيره؛ لكونهن أزواجًا له قطعًا، بخلاف سائر الناس، لأن الميت لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة، فربما كان أحدهم في الجنة والآخر في النار، فبهذا الوجه انقطع السبب في حق الخلق، وبقي في حق النبي ρ [3].

مسألة: هل أزواج النبي ρ في الدنيا أزواجه في الآخرة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:"ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ρ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة"[4].

والدليل على ذلك:

(أ) أحاديث وردت في ذلك، وهي:

(1) ما في صحيح البخاري:"لَمَّا بَعَثَ عَلِيٌّ، عَمَّارًا، وَالحَسَنَ إِلَى الكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ خَطَبَ عَمَّارٌ فَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلاَكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ أَوْ إِيَّاهَا»[5].

(2) وعند ابن حبان من طريق سعيد بن كثير عن أبيه حدثتنا عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ρ قال لها:"أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟" قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ قَالَ: "فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدنيا والآخرة"[6] [7].

(3) جاء في الحديث:" ما تركت بعد نفقة عيالي ومؤنة عاملي صدقة" وفي

(1) أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب الحدود، باب: من رأى مع امرأته رجلًا ففتله، (8/ 173)، ح(6846)، عن المغيرة بن شعبة، مرفوعًا.

(2) تفسير السعدي، للسعدي، ص671.

(3) يُنظر: أحكام القرآن، لابن العربي (3/ 464- 465).

(4) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (3/ 154).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب: أصحاب النبي - ρ-، باب: فضل عائشة -رضي الله عنها-، (5/ 29)، ح (3772).

(6) أخرجه ابن حبان (7095)، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان".

(7) يُنظر: التنبيهات السنية على الواسطية، لعبد العزيز الرشيد، ص294.

بعض ألفاظ الحديث:" ما تركت بعد نفقة أهلي ومؤنة عاملي صدقة" [1]، وهذا اسم خاص بالزوجية؛ لأنه أبقى عليهن النفقة مدة حياتهن، لكونهن نساءه[2].

(4) حديث:"كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة، إلاسببي ونسبي"[3].

(ب) لقوله تعالى عن دعاء حملة العرش للمؤمنين: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ غافر: 8، فقال:{وأزواجهم} فأثبت الزوجية لهن بعد دخول الجنّة، وهذا يدل على أن زوجة الإنسان في الدنيا تكون زوجته في الآخرة إذا كانت من أهل الجنّة[4].

عن حذيفة[5] أنه قال لامرأته: إن سرّك أن تكوني زوجتي في الجنّة إن جمع الله بيننا فيها فلا تزوجي بعدي؛ فإن المرأة لآخر أزواجها، ولذلك حرّم الله على أزواج النبي ρ أن يتزوجن بعده. وروى حميد الطويل عن أنس قال: سألتْ أمّ حبيبة زوج النبي ρ: المرأة منا يكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنة هي وزوجها، لأيهما تكون؟ قال: يا أم حبيبة، لأحسنهما خُلُقًا كان معها في الدنيا، فتكون زوجته في الجنّة، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة"[6] [7].

قال ابن العربي -رحمه الله-" وببقاء الزوجية أقول"[8].

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:

"وقوله تعالى:{أزواجه} تكون المرأة زوجة للإنسان بالعقد عليها. وقوله تعالى:{من بعده} أي: من بعد مفارقته لها، ومفارقة النبي ρ لها تكون بالحياة، وتكون في الموت، والمفارقة في الحياة تكون قبل الدخول وبعد الدخول، فهاهنا ثلاث حالات:

الحال الأولى: من فارقها بموته، فهذه لا تحل لأحد من بعده بالإجماع، ولم

---

(1) أخرجه بنحوه البخاري في صحيحه؛ كتاب: الوصايا، باب: نفقة القيم للوقف، (4/ 12)، ح (2776)، عن أبي هريرة مرفوعًا.

(2) يُنظر: أحكام القرآن، لابن العربي (3/ 464- 465).

(3) السلسلة الصحيحة، للألباني (2036).

(4) يُنظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (2/ 278).

(5) حذيفة ابن اليمان، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين هاجر إلى النَّبِيّ ρ فخيره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وشهد مع النَّبِيّ ρ أُحدًا صح في مسلم عنه أن رسول الله ρ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، وأبوه صحابي أيضًا استشهد بأحد، توفي حذيفة في أول خلافة علي -رضي الله عنه- سنة36هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (1/ 468)، تقريب التهذيب، لابن حجر (154).

(6) أخرجه الطبراني: (411) بنحوه.

(7) أحكام القرآن، للجصاص (3/ 484).

(8) أحكام القرآن، لابن العربي (3/ 464).

يخالف في ذلك أحد.

الحال الثانية: من فارقها في حياته بدون دخول، فهذه تحل، ولا نزاع فيها كما ذكره ابن كثير -رحمه الله- في التفسير.

الحال الثالثة: من فارقها في حياته بعد دخوله بها، فهذه موضع خلاف بين أهل العلم.

فمنهم من قال: إنها تحل. ومنهم من قال: إنها لا تحل. وعلى هذا الرأي الذي يقول: إنها لا تحل، يقول: إنه يصدق عليها أنها زوجته، وأنها من بعده، ولولا أنّ من عقد عليها ثم فارقها قبل الدخول لولا الإجماع لقلنا أيضا لا تحلّ لمن بعده.

فائدة: لا نعلم أن أحدًا تزوج زوجة للرسول ρ بعد الدخول بها"[1]أهـ.

عن عامر أن النبي ρ مات، وقد ملك قيلة بنت الأشعث، فتزوجها عكرِمة بن أبي جهل بعد ذلك، فشق على أَبي بكر مشقة شديدة، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يخيرها رسول الله ρ ولم يحجبها، وقد برأها منه بالردة التي ارتدت مع قومها، فاطمأن أَبو بكر وسكن[2].

الخاتمة :

بعد العيش في كنف سورة الأحزاب وتدبر آياتها التي تناولت الحديث عن أمهات المؤمنين والنظر في معانيها، يسر الله لي بمنه الوصول إلى النتائج التالية:

1 - فضل أهل بيت رسول الله ρ، وأزواجه من أهل بيته.

2 - علو مكانة أمهات المؤمنين وعظم شأنهن.

3 - بيان قوة إيمان أمهات المؤمنين تجلت في اختيارهن الله ورسوله.

4 - أظهرت الآيات تنوع الخطاب الإلهي لهن من خلال أسلوب الترغيب والترهيب في أسلوب بديع.

5 - بينت الآيات وسائل تطهير آل البيت من خلال:

(أ) عدم تليين القول.

(1) تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب)، لابن عثيمين، ص434- 435.

(2) جامع البيان، للطبري (20/ 316- 317)._وفي رواية: ولم يجامعها _.

(ب) القرار في البيت.
(ج) عدم التبرج.
(د) الأمر بالحجاب.

6 - علو منزلتهن-رضي الله عنهن- وأنهن بتقواهن يفضلن النساء.
7 - تحريم نكاحهن بنص القرآن حيث أعد الله تعالى ذلك إيذاء لرسوله ρ.
8 - إن كل ما ذكر في سورة الأحزاب عن أمهات المؤمنين-رضي الله عنهن- ليؤكد -على مدى الدهر- عظيم مكانتهن ورفعة شرفهن وصيانة مقامهن.
9 - من علل عدم زواج زوجاته من بعده أنّ له ρ مقام التعظيم والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته من بعده مخل بهذا المقام

وإن كان من توصيات أختم بها فأرجو **نشر سيرهن وتعليمها للناشئة** لتعريفهن بمقامهن ولرد أي شبهة تثار حولهن -رضي الله عنهن -.

والله أسأل أن يوفقنا جميعا لإتباع هدي نبينا ρ وهدي زوجاته ما فيه صلاحنا وصلاح أزواجنا وذرياتنا ، وأن يرزقنا محبتهم والدفاع عنهم، وأن يتقبل ذلك منا إنه هو السميع العليم.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

مكانة أمهات المؤمنين في كتاب رب العالمين